ألف حكاية وحكاية (٦٠)

يعقوب الشاروني

بغير خصام

وحكايات أخرى



مكتبة مصر

ألف حكاية وحكاية (٦٠)

يعقوب الشارونى

بغير خصام

وحكايات أخرى



مكتبة مصر

تبادل الأدوار

عندَما كانَ عمرى سبعَ سنواتٍ ، طلبَ منِّى والدى أن نلعبَ لعبةَ "تبادل الأدوار".

قالَ لى: "هيَّا يا ماجد .. ستكونُ أنتَ بابا ، وأصبحُ أنا ماجد ، ما رأيُكَ؟"

أسعدَتْنى اللعبةُ ، وقلْتُ : "أنا بابا .. وأنتَ ماجد."

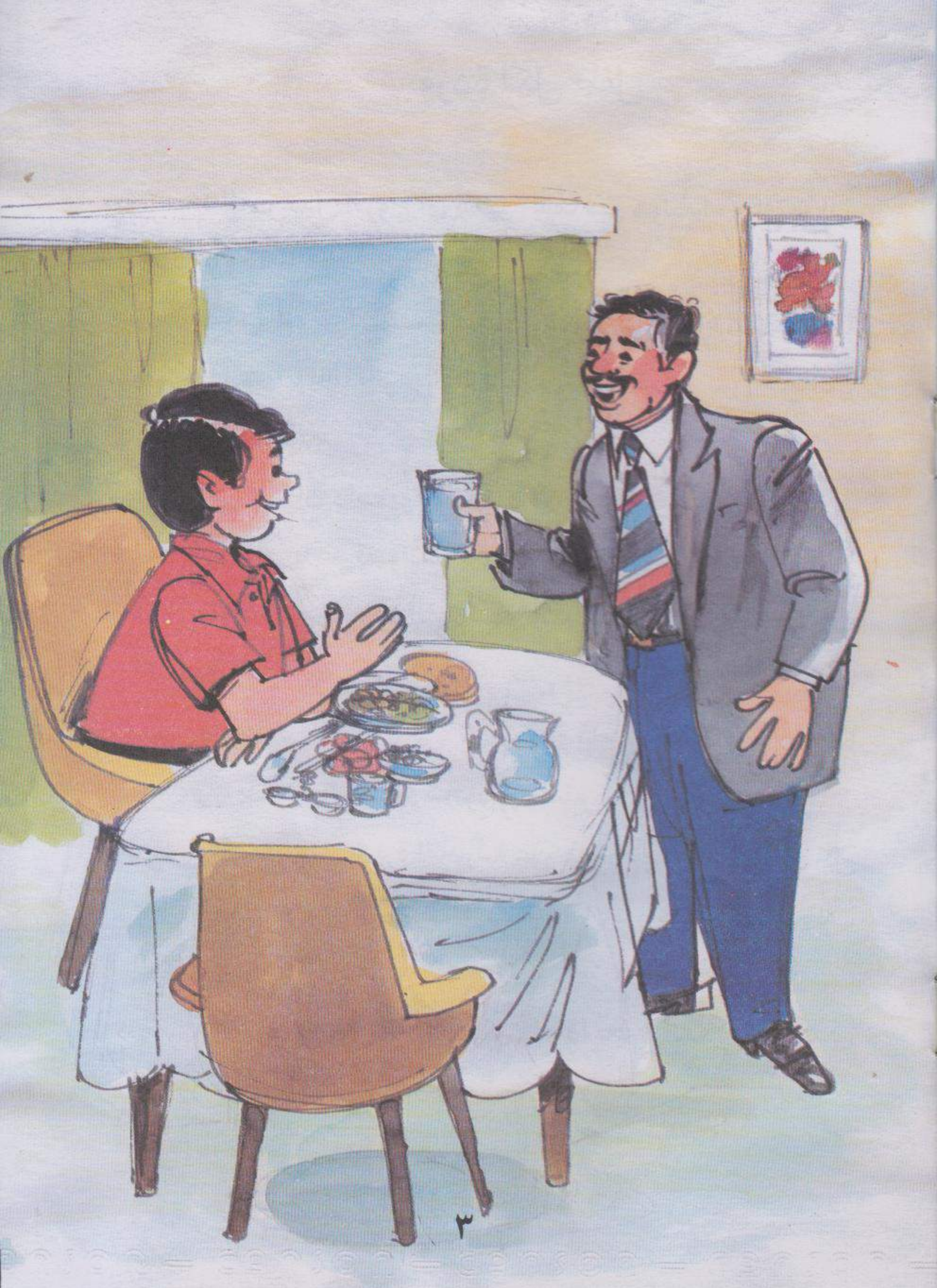
وبدأ والدى ، الذى أصبحَ "ماجد" ، فقالَ لى : "بابا .. أريدُ مصروفى .. خمسةَ قروشٍ .."

وكان لابدَّ أن أتابعَ اللعبَ ، فقُمْتُ مُرغمًا ، وفتحْتُ حصَّالتى ، وأحضرْتُ له الخمسةَ قروشٍ ، فتناولَها منِّى ، ووضعَها فى جيبِهِ.

ورأيْتُ من حقى أن أستخدمَ دورى أنا أيضًا ، فقلْتُ لبابا بسرعةٍ: "ماجد .. أحضِرْ لى كوبَ ماءٍ .. وإيَّاكَ أن تسكبَ الماءَ على نفسِكَ!".

فنظرَ والدى نحوى فى دهشةٍ ، لكنْ كانَ لابدَّ أن يتابعَ هو أيضًا اللعبَ ، فقامَ مُرغَمًا ، وأحضرَ لى كوبَ الماءِ ..

لعبْنا هذه اللعبةَ مراتٍ متعددةً ، فأصبحْتُ أنا بعدَها أكثرَ فهمًا لأقوالِ وتصرفاتِ أبى معى ، وأعتقدُ أن أبى أصبحَ هو أيضًا قادرًا على أن يفهمَنى أكثرَ من ذى قبلُ.



وردة لكل طفل

تَطلَّبَ عملُ الزوجِ أن يقضِىَ عامًا فى هولندا ، ورافقَتْهُ إلى هناك الزوجةُ والأطفالُ.

تقولُ الزوجةُ: دهشْتُ عندما وجدْتُ كلَّ أبناءِ تلك الدولةِ يهتمُّونَ اهتمامًا بالغًا بالزهورِ والزنابقِ ، وسألْتُ نفسى كثيرًا عن السرِّ وراءَ هذا الاهتمامِ.

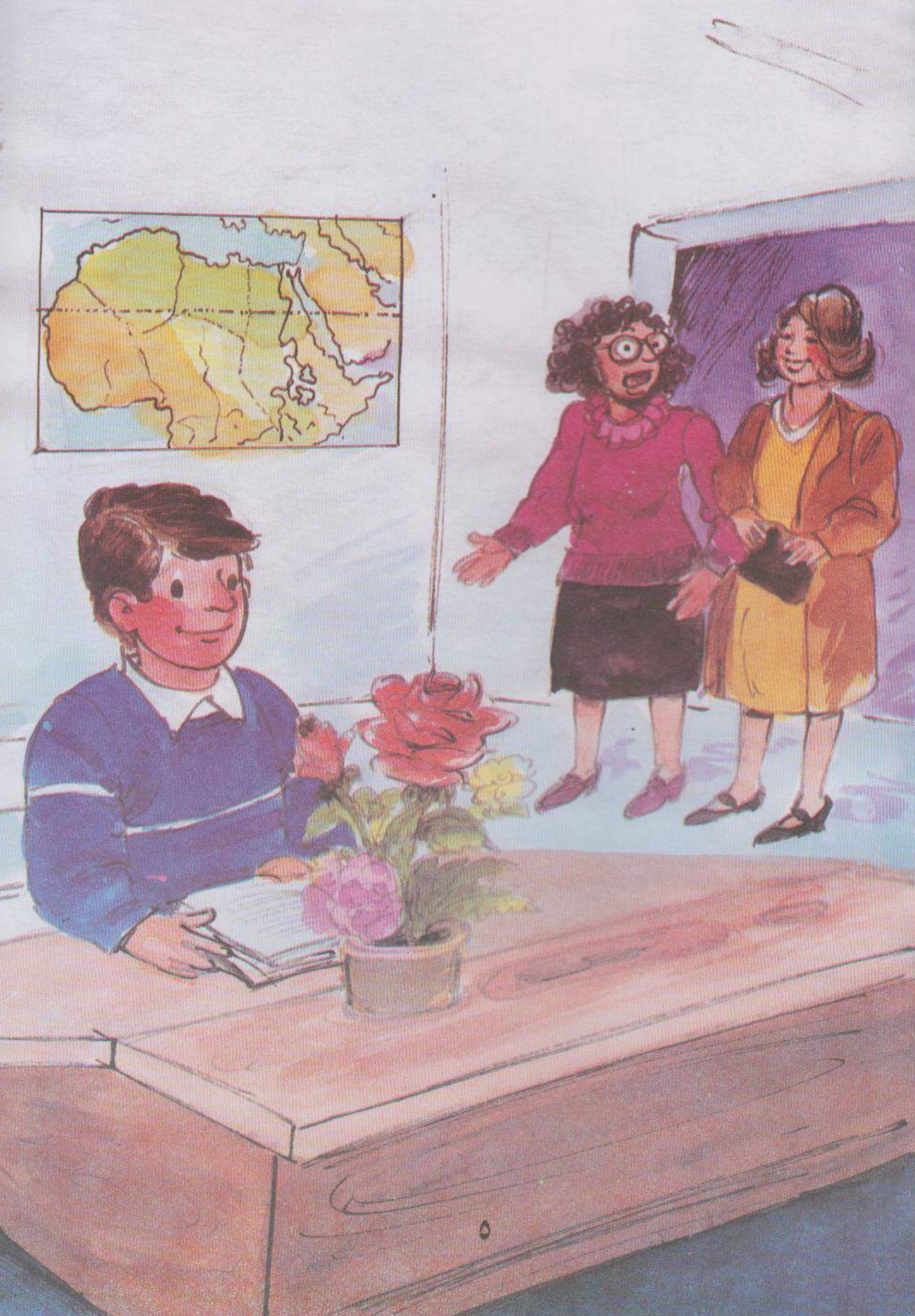
إلى أنْ كانَ ذاتَ يومٍ ، ذهبْتُ فيه إلى مدرسةٍ قريبةٍ للأطفالِ ، ليلتحقَ أبنائى بأحدِ فصولِها.

وأخذَتْنى مديرةُ المدرسةِ لأشاهدَ الملاعبَ وحجراتِ الدراسةِ.

وفوجئْتُ بأنْ رأيْتُ فى كلِّ منضدةٍ ، أمامَ مقعدِ كلِّ طفلٍ ، ثقبًا مُستديرًا ، به وعاءٌ تنبتُ منه شجرةُ وردٍ صغيرةٌ.

وعندما سألْتُ مديرةَ المدرسةِ عن هذه الأوعيةِ قالَتْ: "إن كلَّ طفلٍ مسئولٌ عن حياةِ شجرةِ الوردِ التى أمامَهُ ، يحافظُ عليها وينظِّفُ الوعاءَ ، ويسقى الوردَ بالماءِ."

وتقولُ الزوجةُ: "عندئذٍ أدركْتُ لماذا يُحِبُّ الشعبُ الهولندِىُّ الزهورَ كلَّ هذا الحبِّ."



صرخة ألم

كانَتْ أسرةُ "حـازم" تجلسُ على شاطئِ الترعةِ الواسعةِ ، وقد افترشَتْ مساحةً غطَّتْها الحشائشُ الخضراءُ .

وشربَ حـازم محتوياتِ علبةٍ من عصيرِ الجوافةِ. وبغيرِ تفكيرٍ ، ألقَى العلبةَ الفارغةَ فى الماءِ . عندئذٍ سمعَ صيحةَ ألمٍ ، كأنما شخصٌ يقولُ: "آه."

وتلفَّتَ حازم حولَهُ ، لكنه وجدَ الكلَّ يضحكونَ.

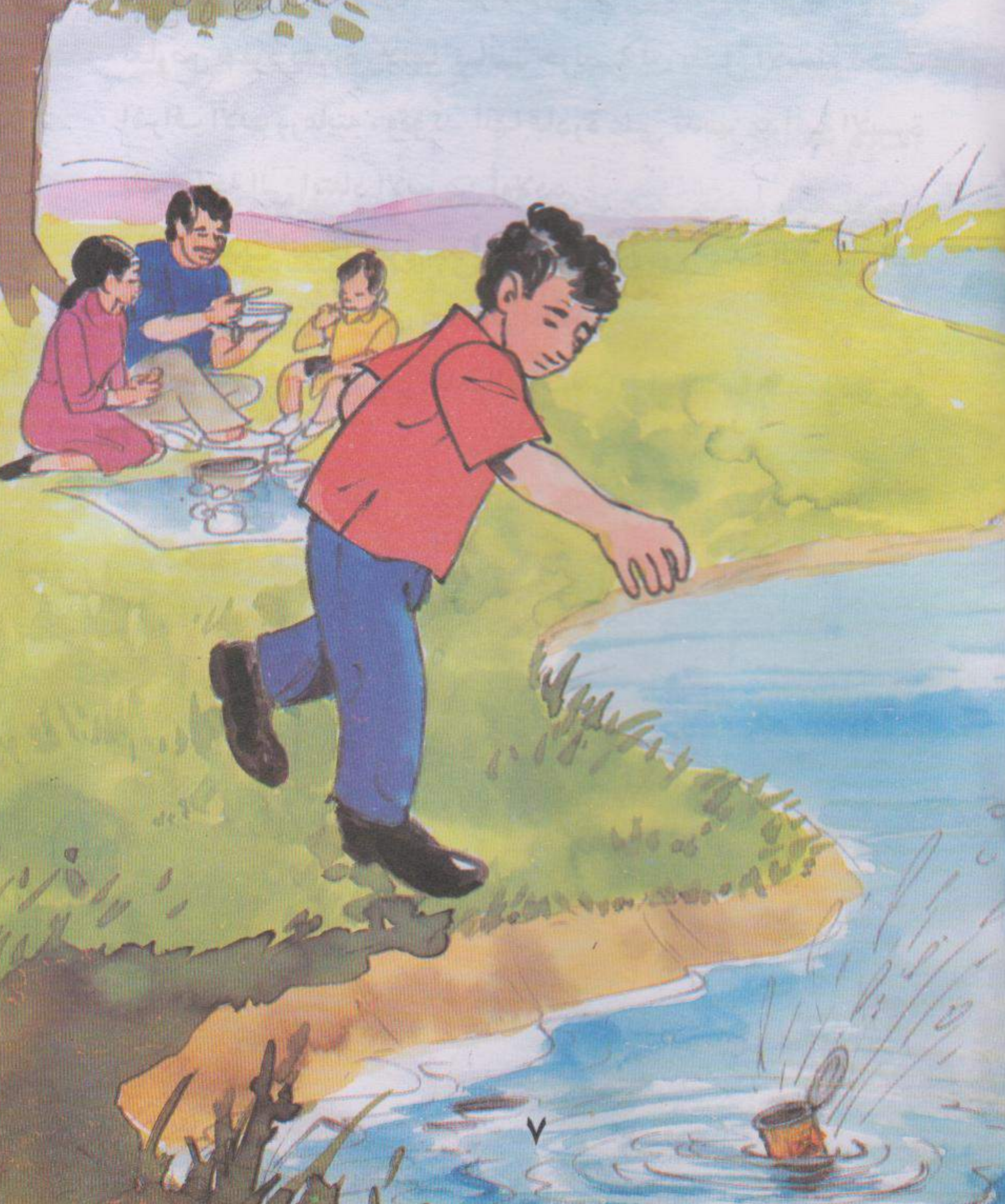
وبعدَ قليلٍ ، جمعَتْ أختُهُ فى صفحةٍ من الورقِ ، بقايا السمكِ المُتبقِّى من الغذاءِ وطوَّحَتْ بها إلى سطحِ الماءِ . وللمرةِ الثانيةِ ، ترنُّ فى أذنَىْ حازم آهةُ الألمِ التى لم يعرفْ مصدرَها حتَّى الآنَ!!

ثم سمعَ صرخةَ الألمِ للمرةِ الثالثةِ ، عندما ألقَى أخوه فى الماءِ بأغطيةِ الزجاجاتِ ، وما تَبقَّى من أوراقٍ كانَتِ الأسرةُ تُغلِّفُ بها ما حملَتْهُ معَها من الطعامِ.

عندئذٍ تَنبَّـهَ حازم أن تلك الصرخاتِ والآهاتِ المُتألِّمةَ كانَتْ تصدرُ عن الماءِ . ولم يلبثْ أن شاهدَ حازم وجهَ الماءِ يبدو غاضبًا مُكْفَهِرًّا ، وقد شوَّهَتْهُ النفاياتُ وبقايا الطعامِ.

وعندما كانَتِ الأسرةُ تهمُّ بالانصرافِ ، سمعَ حازم كأنما الماءُ يهدرُ فى غضبٍ قائلاً:

"لقد استمتَعْتُم بيومِكم .. لكنْ .. ماذا عنِّى أنا ؟! لقد قذفْتُمونى ببقايا طعامِكم ، وجعلْتُم وجهى مُلوَّثًا مُشوَّهًا ، وأصبتمونى بالقبحِ والألمِ .."



بغير خصام

ذهبْتُ أزورُ صديقًا فى بيتِهِ ، وأثناءَ الزيارةِ ، ثارَتْ مناقشةٌ حاميةٌ بينه وبينَ زوجتِهِ: هو يُريدُ السفرَ للعملِ فى أحدِ البلادِ العربيةِ ، وهى تُعارِضُ سفرَهُ بشدةٍ ، لأنها كانَتْ حريصةً أن يظلَّ الأبناءُ تحتَ إشرافِ الأبِ ورعايتِهِ ، وتؤكِّدُ أنها قادرةٌ على تدبيرِ ميزانيةِ الأسرةِ بغيرِ حاجةٍ إلى ابتعادِ الأبِ عن أولادِهِ.

وأخذْتُ أتدخَّلُ مرةً بعد أخرى لأهدِّئَ من حدةِ الحوارِ ، إلى أنِ انتَهتِ الزيارةُ بغيرِ أن يصلا إلى اتفاقٍ.

وقد تصوَّرْتُ ، بسببِ حدةِ المناقشةِ ، أن الخلافَ بينهما سيتَّسِعُ ويُفسِدُ علاقتَهما.



لكنْ ما إنْ وقفْتُ أودِّعُهما ، حتـى تَغيَّرَ مجرى الحديثِ تمامًا ، وتَبادلَ الزوجانِ كلماتٍ مرحةً وهما يطلبانِ منِّى تكرارَ الزيارةِ !!

عندئذٍ اصطحبْـتُ الزوجَ معى إلى مسافةٍ من الطريـقِ ، وسألْتُه وأنا فى أشدِّ حالاتِ الحيرةِ والقلقِ:

"لقد حسبْتُ أن الخلافَ استحكمَ بينكمـا ، وأنـه لا أمـلَ فـى السلامِ بعدَ الآنَ!!"

فضحكَ صديقى ضحكةً صافيةً مُجلجلةً وهو يقولُ:

"لا تخَفْ .. لقد تعلَّمْنا كيف نختلفُ ، بغيرِ أن نتخاصمَ !"



الحظ الحسن

فى ليلةِ رأسِ السنةِ ، جلسَ المُؤلِّفُ الكبيرُ أمامَ مكتبِهِ ، وأمسكَ قلمَهُ ، وكتبَ:

"فى السنةِ الماضيةِ ، أُجْرِيَتْ لى عمليةُ إزالةِ المرارةِ ، ولازمْتُ



الفِراشَ عدةَ شهورٍ . وبلغْتُ الستينَ من العمرِ ، فتركْتُ وظيفتى المهمةَ فى دارِ النشرِ الكبرى التى ظللْتُ أعملُ بها ثلاثينَ عامًا . وتُوفِّىَ والدى . ورسبَ ابنى فى بكالوريوسِ الطبِ لتعطُّلِهِ عن الدراسةِ عدةَ شهورٍ ، بسببِ إصابتِهِ فى حادثِ سيارةٍ ."

وفى نهايةِ الصفحةِ كتبَ: "يا لَها من سنةٍ سيئةٍ!"

ودخلَتْ زوجتُهُ غرفةَ مكتبِهِ ، ولاحظَتْ شرودَهُ ، فاقتربَتْ منه.

ومن فوقِ كتفِهِ ، قرأت ما كتبَ ، فتركَتِ الغرفةَ بهدوءٍ.

وبعدَ دقائقَ ، عادَتْ وقد أمسكَتْ بيدِها قطعةَ ورقٍ أخرى ، وضعَتْها بهدوءٍ بجوارِ الورقةِ التى سبقَ أن كتبَها زوجُها.

وتناولَ الزوجُ ورقةَ زوجتِهِ ، وقرأ منها:

"فى السنةِ الماضيةِ ، شُفيتَ من آلامِ المرارةِ التى عذَّبَتْكَ سنواتٍ طويلةً . وبلغْتَ الستينَ وأنت فى تمامِ الصحةِ ، وستتفرغُ للكتابةِ والتأليفِ بعد أن تمَّ التعاقدُ معَكَ على نشرِ أكثرَ من كتابٍ مهمٍّ. وعاشَ والدُكَ حتى بلغَ الخامسةَ والثمانينَ ، بغيرِ أن يُسبِّبَ لأحدٍ أيةَ متاعبَ ، وتُوفِّىَ فى هدوءٍ بغيرِ أن يتألَّمَ . ونجا ابنُكَ من الموتِ فى حادثِ السيارةِ ، وشُفِىَ بغيرِ أيةِ عاهاتٍ أو مُضاعَفاتٍ ."

وختمَتِ الزوجةُ عبارتَها قائلةً: "يالها من سنةٍ تغلَّبَ فيها حظُّنا الحسنُ ، على حظِّنا السيِّئِ!!"

الجانب المضيء

فى مواجهةِ الشقةِ التى تُقيمُ بها عائلةٌ من أصدقائى ، تسكنُ سيدةٌ بمفردِها بعد وفاةِ زوجِها ، ويأتى أولادُها لزيارتِها بين وقتٍ وآخرَ .

وذاتَ مرةٍ ، كنْتُ أزورُ أصدقائى ، فوجدْتُ جارَتهم عندَهم ، ولاحظْتُ أنها لا تستطيعُ تحريكَ إحدى ساقَيْها إلا بصعوبةٍ بالغةٍ ، وبألمٍ شديدٍ كانَتْ تُخفيهِ خلفَ ابتسامةٍ راضيةٍ.

وعندما عادَتْ إلى شقَّتِها ، قالَ لى صديقى: هل رأيْتَ هذه السيدةَ ؟! إنها نَموذجٌ رائعٌ لقدرةِ الإنسانِ على مواجهةِ أسوأ الأمورِ بابتسامةٍ.

لقد أصيبَتْ ساقُها بالروماتيزم ، وتكادُ لا تستطيعُ تحريكَها ، لكنها تقولُ راضيةً:

"أنا سعيدةُ الحظِّ .. لقد أُصِبْتُ مرةً بهذا المرضِ فى ساقَيَّ الاثنتَيْنِ ، والحمدُلله ، لم يعاوِدْنى فى هذه المرةِ إلا فى ساقٍ واحدةٍ."

وذاتَ مرةٍ ، خرجَتْ إلى السوقِ ، وضاعَ منها كيسُ نقودِها ، وبه عشرونَ جنيهًا هى فى أشدِّ الحاجةِ إليها ، فرجعَتْ تقولُ مُبتسِمةً:

"الحمد لله أننى لم أكنْ أضعُ فى الكيسِ كلَّ مبلغِ المعاشِ الذى أتسلَّمُهُ أولَ كلِّ شهرٍ."

وذاتَ مرةٍ ، أفسدَ الكَوَّاءُ ثوبًا أرسلَتْهُ إليه ، فسمعْتُها تقولُ: "لقد

قالَ لي كثيرونَ إن هذا الثوبَ لم يعدْ يُلائمُ سنِّي ، لكنني رغمَ ذلك كنْتُ أرتديهِ .. الحمدُللهِ أن خلَّصَني منه!!"

وهكذا فإنها تستطيعُ أن تجدَ جانبًا مُضيئًا في كلِّ كارثةٍ تحلُّ بها، وتظلُّ ابتسامتُها قادرةً على مواجهةِ كلِّ تقلُّباتِ الحياةِ!!

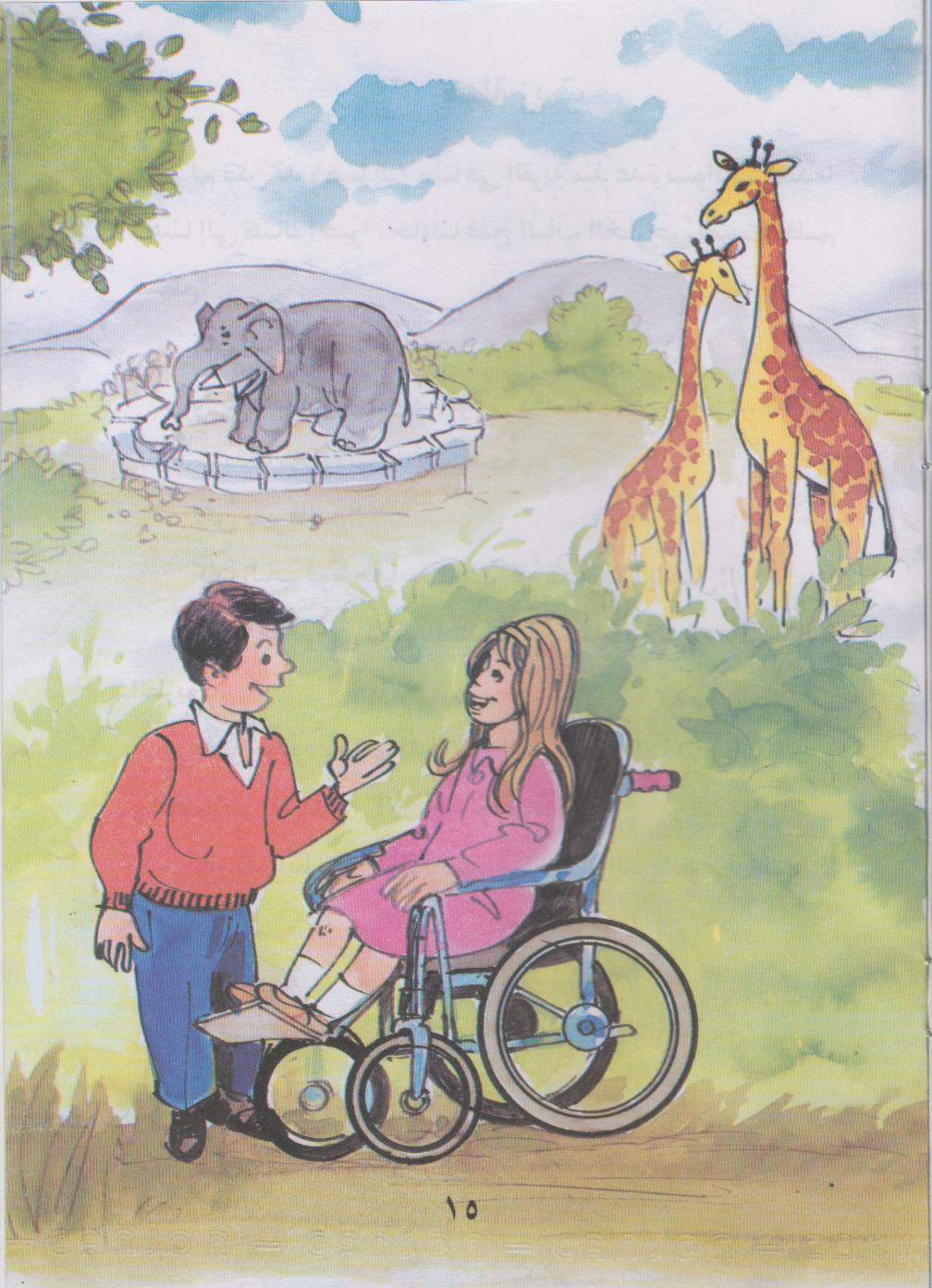


الأطفال يفهمون

كانَتْ زوجتى مع حفيدتِنا فى حديقةِ الحيواناتِ ، وجذبَ انتباهَها فتاةٌ صغيرةٌ تجلسُ على كرسِىٍّ له عجلتانِ كبيرتانِ ، وتنظرُ فى أسى إلى عددٍ كبيرٍ من الأطفالِ السعداءِ ، يمرحون بالقربِ منها على العشبِ الأخضرِ.

وراقبَتْ زوجتى صبِيًّا فى مثلِ سنِّ الفتاةِ ، قد تركَ اللعبَ ، ووقفَ ينظرُ إلى الفتاةِ من بعيدٍ . ثم اقتربَ منها ، وقد ارتسمَتِ ابتسامةٌ على وجهِهِ وشفتَيْهِ ، وقالَ لها فى إعجابٍ: "ما أجملَ شعرَكِ الطويلَ!"

وفى الحالِ ، أشرقَتْ من خلالِ دموعِ الصغيرةِ ، ابتسامةٌ كبيرةٌ سعيدةٌ!!



نقطة زيت

لم نكنْ قد ذهَبْنا إلى بيتِنا فى القريةِ منذُ عدةِ سنواتٍ . وعندَما ذهَبْنا إلى هناكَ أخيرًا ، حاولْنا فتحَ البابِ الخارجِىِّ للبيتِ ، فلم نستطعْ.

كانَ البابُ ضخمًا ثقيلاً.

واجتهَدْنا أن نفتحَهُ بالقوةِ .. دفعْناهُ بكلِّ شِدَّةٍ ... حاوَلْنا كسرَهُ... بذلْنا محاولاتٍ عنيفةً متعددةً ...

لكنْ بغيرِ فائدةٍ!!

كانَ البابُ قوِيًّا جدًّا ، فانتهَتْ كلُّ محاولاتِنا بالفشلِ!!

أخيرًا جاءَ رجلٌ شيخٌ ، يمتلئُ بالحكمةِ والخبرةِ ، فأفسَحْنا له الطريقَ.

وفى هدوءٍ ، صبَّ قليلاً من الزيتِ على الأقفالِ والمزاليجِ والمُفصَّلاتِ ، ثم قالَ: "الآنَ حاولوا فتحَهُ."

عندئذٍ رأيْنا ، فى سعادةٍ ، مدى السهولةِ التى انفتحَ بها البابُ!!



صدر من هذا السلسلة

١ ـ كيس الخصام
٢ ـ طيران بغير طعام
٣ ـ النمر لا يهزم السلحفاة
٤ ـ أسد فى المطعم
٥ ـ كلمة سحرية
٦ ـ النحلة تقود العربة
٧ ـ جحا واللاشىء
٨ ـ عيد للجميع
٩ ـ نهاية ملك المزرعة
١٠ ـ انفجار فى معمل
١١ ـ الربح فى غرامة
١٢ ـ الأسد ورائحة فمه
١٣ ـ شاى وفطائر
١٤ ـ الآلة المتكلمة
١٥ ـ جرس الإنذار
١٦ ـ الأمير والحمام
١٧ ـ الخليفة ينقذ قطة
١٨ ـ القفزة الشجاعة
١٩ ـ يشرب ماء النهر كله
٢٠ ـ اعتداء المضحك
٢١ ـ قتلتنى يا شيطان
٢٢ ـ أم لا تخاف
٢٣ ـ لا خطر الآن
٢٤ ـ تغريد جحا
٢٥ ـ ذكاء المهرج
٢٦ ـ من يحبها أكثر ؟
٢٧ ـ لحم فى الهواء
٢٨ ـ الوهم الجميل
٢٩ ـ ذهب وعاد حافيًا
٣٠ ـ أعظم يوم فى حياتى
٣١ ـ الشمس وعنقود العنب
٣٢ ـ سيدة الأزهار
٣٣ ـ حلوى لأمير المؤمنين
٣٤ ـ تظاهر بالجنون
٣٥ ـ أذكى الأذكياء
٣٦ ـ القلب الذهبى
٣٧ ـ رحل فى الهواء
٣٨ ـ هزيمة أسد
٣٩ ـ أم فوق الجليد
٤٠ ـ شبح فى الحديقة
٤١ ـ آبار فى الصحراء
٤٢ ـ جحا وأغلى الأشياء
٤٣ ـ الرائحة والرنين
٤٤ ـ رأس الذئب الطائر
٤٥ ـ حلاوة السكر تبقى
٤٦ ـ الفيضان والكنز
٤٧ ـ جحا وحصان السلطان
٤٨ ـ نار فى ذيل ثعلب
٤٩ ـ مشمش أكل كوكى
٥٠ ـ يعيش .. يعيش .. يعيش
٥١ ـ الجائزة لمن ؟
٥٢ ـ قانون الغراب
٥٣ ـ الدنيا لا تزال بخير
٥٤ ـ صغيرة فى صيدلية
٥٥ ـ طفل بين زراعى غوريللا
٥٦ ـ أم لألف طفل
٥٧ ـ حساب رأس السنة
٥٨ ـ هدية من الشمع
٥٩ ـ الاحترام للسائق
٦٠ ـ بغير خصام



دار مصر للطباعة